

تفسير أبي السعود

سورة النور 40 المستوية وقيل هي جمع قاع كجيرة جمع جار وقرء بقيعات بتاء ممدودة
كديمات إما على أنها جمع قيعة أو على أن الأصل قيعة قد أشبعت فتحة العين فتولد منها ألف
يحسبه الظمآن ماء صفة أخرى لسراب و تخصيص الحسبان بالظمآن مع شموله لكل من يراه كائنا
من كان من العطشان والريان لتكميل التشبيه بتحقيق شركة طرفيه في وجه الشبه الذي هو
المطلع المطمع والمقطع الموءس حتى إذا جاءه أي إذا جاء العطشان ما حسبه ماء وقيل موضعه
لم يجده أي ما حسبه ماء وعلق به رجاءه شيئاً أصلاً محققاً ولا متوهماً كما كان يراه من قبل
فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان أحوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجدنا عند
فوفاه حساباً وسريع الحساب بيان لبقية أحوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة
لئلا يتوهم أن قصارى أمرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شأن الظمآن ويظهر أنه يعترهم
بعد ذلك التمثيل من عدم وجدان الكفرة من أعمالهم المذكورة عينا ولا أثرا كما في قوله
تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وأن الحكم بأن أعمال
الكفرة كسراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً حكم بأنها بحيث يحسبونها في
الدنيا نافعة لهم في الآخرة حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئاً كأنه قيل حتى إذا جاء الكفرة
يوم القيامة أعمالهم التي كانوا في الدنيا يحسبونها نافعة لهم في الآخرة يجدوها شيئاً
ووجدوا أن أي حكمه وقضاه عند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم أي أعطاهم وأفيا كاملا
حسابهم أي حساب أعمالهم المذكورة وجزاءها فإن اعتقادهم لنفعها بغير أيمان وعملهم
بموجبه كفر على كفره وجب للعقاب قتا وإفراد الضميرين الراجعين إلى الذين كفروا إما
لإرادة الجنس كالضمان الواقع في التمثيل وإما للحمل على كل واحد منهم وكذا أفراد ما
يرجع إلى أعمالهم هذا وقد فيل نزل في عتبة بن ربيعة بن أمية كان قد تعبد في الجاهلية
وليس المسوح والتمس الدين فلما جاء الإسلام كفر أو كظلمات عطف على كسراب وكلمة للتنويع
40 إثر ما مثلت أعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها أقوى اعتماد ويفتخرون بها في كل واد
وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت أعمالهم القبيحة التي ليس فيها
شائبة خيرية يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لحي أي عميق كثير الماء منسوب إلى
البحر وهو معظم ماء البحر وقيل إلى اللجة وهي أيضا معظمه يغشاه صفة أخرى للبحر أي يستره
ويغطيه بالكلية موج وقوله تعالى من فوقه موج جملة من مبتدأ أو خبر محلها الرفع على
أنها صفة لموج أو الصفة هي الجار و المجرور وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف
والكلام فيه كما مر في قوله تعالى نور على نور أي يغشاه أمواج متراكمة متراكبة بعضها

على بعض وقوله تعالى من فوقه سحب صفة لموج الثاني على أحد الوجهين المذكورين من فوق ذلك الموج سحب ظلماني ستر أضواء النجوم وفيه إيماء إلى غاية تراكم الأمواج وتضاعيفها حتى كأنها بلغت